قضية ورأي

حرائق شيطانية!

د. حمدي هاشم

2016/26/11 8:42:07 PM

التهبت مشاعر العرب من الحرائق التي اجتاحت إسرائيل في الآونة الأخيرة، وأرجعوها إلي عقاب من السماء رداً علي مشروع قانون فرض القيود علي رفع الآذان في المساجد لاستكمال تهويد القدس وبقية المدن الفلسطينية، بعكس اعتبارها حرائق شيطانية ونوع من الإرهاب بالحرق علي لسان بعض الإسرائيليين.وسرعان ما اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بمعامل من الارتباط النفسي، يصعب قياسه، بدون معرفة الأسباب علي أرض الواقع، حول هذه الظاهرة التي تلعب فيها الظروف المناخية دوراً ملموساً، ودليل ذلك حرائق الغابات الهائلة بالمناطق الجبلية جنوب حيفا، في خريف (2010)تنتمي بلاد الشام ومنها فلسطين لإقليم مناخ البحر المتوسط، وكذلك منطقة كاليفورنيا في غربي الولايات المتحدة، التي تخرج فيها حرائق الغابات عن السيطرة،ومنها حرائق خريف (2007)، التي تسببت في إجلاء نحو مليون نسمة من السكان، في أكبر حركة للهجرة الداخلية في أمريكا،وقدرت خسائرها بأكثر من (400) ألف فدان، والتهمت النيران ما يفوق الألفي منزل.

وتزامنت مع حرائق الغابات في (لبنان) الأقوي منذ انتهاء الحرب الأهلية، وكانت كارثة كبري لصغر مساحته وافتقاره القدرة علي الإطفاء.

وتقع المنطقة غربي قارة آسيا علي البحر المتوسط، وهي جزء من المشرق العربي الممتد حتي بلاد الرافدين. ويعد المثلث الذي يربط بين (القدس ـ تل أبيب ـ حيفا)، في وسط وشمالي الكيان الإسرائيلي، من المناطق الجغرافية الأكثر عرضة لنشوب مثل هذه الحرائق الواسعة، وفي الأغلب خلال فصل الخريف،حيث تسود ظروف الطقس غير المستقرة، مصحوبة برياح شرقية تفوق (الشديدة في القوة)، عقيمة من حيث سقوط المطر، وجافة طوال مدة هبوبها، وهي بذلك تعمل كأنابيب عملاقة تنفخ الهواء الناشف في مساراتها الطبيعية، الأمر الذي يساعد علي تذكية حوادث النيران العشوائية من إهمال المتنزهين، أو العمدية من عناصر ضد الاحتلال، وسط هذه الغابات المنتشرة بالمنطقة.

وتعاني المنطقة من ظاهرة التصحر، نتيجة قلة الأمطار وانجراف التربة، والاستخدام البشري الجائر للغطاء النباتي، ومنها قطع الأشجار لتوسعة المساحة الزراعية، والرعي العشوائي، وبناء المستوطنات، ومخلفات الدمار والخراب البيئي من الحروب المتواصلة فيها، وما يترتب علي ذلك من نقص في المياه الجوفية والسطحية، وتدهور القدرة الإنتاجية للأرض، والتقلص التدريجي في مساحة الغابات الطبيعية، والتي قد تختفي وتؤدي بدورها إلي التغير المناخي، واختلال التوازن البيئي في المملكتين النباتية والحيوانية.

والخوف من نشوب هذه الحرائق عن عمد، لأهداف اقتصادية غير معلنة، لأن الطبيعة كانت تحدث حرائق دورية بفاصل زمني من (50 - 100) سنة، وليس كما يحدث الآن بتكرار يثير الشكوك، في منافع متعددة تعود علي أصحاب المشروعات الإنشائية، والعاملين في نشاط الرعي، وكذلك تجار الفحم، وغير ذلك.
وتعاني كثير من الدول التي تفترشها مساحات واسعة من الغابات، من ظاهرة البناء حول أحزمة هذه الغابات لتلبية احتياجات السكان مع تزايد نموهم وتقلص مساحة الأراضي القابلة لذلك.

ومن التداعيات الدولية، وقوف روسيا ودول كثيرة من حوض البحر المتوسط، وعرض من السلطة الفلسطينية، للمساعدة في إخماد هذه الحرائق،ويسعي (نتنياهو) للتدخل الأمريكي فيها بواسطة الطائرة الأمريكية (سوبر تانكر)، الأحدث في العالم لهذه المهام العملاقة، ولخبرتها في مواجهة الحرائق الواسعة في غابات كاليفورنيا.
ولا شك من أهمية وجود الغابات، بما تحتويه من الأنظمة البيئية، علي مستقبل الأرض وسكانه.

ولابد من وقفة دولية للحفاظ علي رئة التوازن البيئي العالمي، وضرورة إصدار قانون ملزم ترعاه المحكمة الدولية بشأن منع إقامة المباني علي أراض خلت من الأشجار بفعل الحرائق.